

مقالات خاصة عن

:: جلال الدين الرومي ::

للکاتب / أحمد بهجت

من جريدة الأهرام المصرية

صندوق الدنيا بقلم: أحمد بهجت

مولانا جلال الدين

بمناسبة مرور 800 عام علي ميلاده قرر اليونسكو أن يكون عامنا هذا احتفالاً بجلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر.

خلق الله تعالى الإنسان بنفخة من روحه فإذا سويته ونفخت فيه من روحي، ويرى الصوفية أن مجئ الإنسان الي الدنيا رحلة يعود فيها الإنسان الي الله، أو يزيد فيها ابتعاده عن الله، والبعد عن الله هو ألم الآلام عند الصوفية، وأعظم تهديدين مرعيين يراهما الصوفية في آيات القرآن ليس آيات الجحيم بنيرانه المستعرة، وإنما هو ألم الحجاب، يقول تعالى كلا، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون.

وهناك قوله تعالى.. ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم... ولهذا السبب يبدأ شاعر الصوفية الأكبر مولانا جلال الدين الرومي كتابه المثنوي بالحديث عن سبب الآلام ومصدر الأوجاع الأول، وذلك ألم الناي حين اقتطع من شجرته وابتعد عنها وصار قصبية يتموج غناؤها بحنين يذوب شوقاً للانسجام مع الأصل والأنس به.. تقول الأبيات الأربعة الأولى من كتاب المثنوي (6 أجزاء -250 ألف بيت من الشعر - واحد من أعظم الآثار الأدبية الصوفية في العالم).

استمع للناي كيف يقص حكايته

إنه يشكو آلام الفراق قانلاً

إنني منذ قطعت من منبت الغاب

والناس رجالاً ونساء يبكون لبكاني.

إنني أنشد صدرا مزقه الفراق

حتي أشرح له ألم الاشتياق

فكل إنسان أقام بعيداً عن أصله

يظل يبحث عن زمان وصله

البعد عن الله هو الألم الأكبر في رأي جلال الدين الرومي، فما هو رأيه في الألم الأصغر، يرى جلال الدين الرومي أن الألم ضروري للحياة كالفرح سواء بسواء فهو السبيل الوحيد أمام الطفل لكي يولد، وهو الطريق الوحيد أمام الإنسان لكي ينضج ويكبر، وبغير الألم يتحول الإنسان الي قاطع طريق، والفرح والألم شاهدان علي ألوهية الله تعالى، كالإيمان والكفر، وكلاهما له ساجد، يسجد المؤمن طوعاً ويسجد الكافر كرهاً.

صندوق الدنيا بقلم: أحمد بهجت

الأمير المنقذ

يقدم جلال الدين الرومي نظريته في الألم الإنساني في قصة رمزية تحمل عنوانا يقول
(كيف أزعج أمير رجلا نائما كانت أفعى قد دخلت في فمه المفتوح وهو نائم) ,
ومن خلال القصة الرمزية يقول لنا الرومي تصويره لحكمة الله في وجود الألم الإنساني في الحياة.

فيقول جلال الدين الرومي إن أحد الأمراء النبلاء كان يسير ممتطيا صهوة جواده, فمر بالقرب من رجل نائم تتسلل أفعى إلي فمه
المفتوح..

وقرر الأمير إنقاذ الرجل.

في البداية أيقظه بضربات موجعة من السوط والدبوس واستيقظ الرجل مفزوعا وجري لإحدى الأشجار وكان قد تساقط من الشجرة
تفاح كثير, وأمر الأمير الرجل أن يأكل من التفاح, كان التفاح قد تعطن وفسد وتغير طعمه, وتباطأ الرجل في أكله, وكلما تباطأ عاجله
الأمير بالضرب.

كان الرجل يجري ويسقط علي وجهه ويقوم لياكل التفاح الفاسد بالأمير, وكان الرجل يناشد الأمير أن يتركه, ولم يعبأ الأمير بتوسلات
الرجل وظل يضربه, فمن ضربات السوط, ومن خوف ذلك الفارس المنطلق كالريح, ومن امتلاء الرجل بالطعام الفاسد بسبب هذا كله
أصيب الرجل بالقيء وأفرغ ما في جوفه وقفزت الأفعى خارجة منه مع ما خرج.

وحيثما رأى الرجل أن تلك الأفعى كانت في جوفه ثم خرجت منه, سجد علي الفور أمام الفارس الطيب الفعال, وراح يثني عليه ويحمده
ويقول له بورك لك الساعة التي رأيتك فيها, لقد كنت ميتا فوهبت لي الحياة لقد كنت طالبا لي كما تفعل الأمهات, وكنت هاربا منك
كما تفعل الحمير.

وبنهاية القصة ندرك أن الفارس هنا رمز لحكمة الله الغامضة التي تؤدي الي نجاة الإنسان وخلصه, لقد كانت كل ضربة من ضربات
الفارس حبا يتكرر في ثياب الشدة, كانت حبا صافيا يساق بلا انتظار لفائدة أو حمد, وكذلك ينظر الصوفية إلي آلام الدنيا وحكمة البارئ.

صندوق الدنيا بقلم: أحمد بهجت

فن جلال الدين

يعتبر كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي أثرا من الآثار الأدبية الخالدة، وهو أثر يرتفع فيه الشعر إلى مستوى عالمي فذ. يقول د. محمد عبد السلام كناني رحمه الله تعالى: إذا أردنا أن نحدد موضوعا لهذه المنظومة المطولة، وجدنا أن ذلك من الأمور العسيرة..

أن موضوعه هو الوجود كله بصفة عامة والإنسان والحياة بصفة خاصة، والمثنوي كله مبني حول مجموعة من القصص، ولكن رواية القصص تقصد لذاتها، إنما هي لبيان مقاصد فلسفية أو لأهداف تعليمية وينتقل الشاعر في علاج موضوعاته بغير ترتيب ودون منهج محدد يتبعه في هذا الانتقال، ومع ذلك فقد عكف باحث ألماني يدعي جوستاف ريشتر علي المثنوي واستطاع أن بين أن كل جزء من أجزائه يمثل وحدة فنية كاملة وقد ذهب إلي ذلك أيضا الاستاذ نيكلسون الذي عكف علي ترجمة المثنوي ودراسته 25 عاما.

يتحدث جلال الدين الرومي في بعض أبيات المثنوي عن تجدد الدنيا في كل لحظة، ثم ينتقل من ذلك إلي دعوة الإنسان لتأمل نفسه وما يطرأ عليها من تغيير مستمر.. يقول:

* في كل لحظة يارب قافلة وراء قافلة تسير من العدم إلي الوجود.

* في الخريف تذهب آلاف الأغصان والأوراق منهزمة إلي بحار الموت.

* بينما الغراب يرتدي السواد كالحزين وينوح علي الخضرة في البستان

* ثم يجي الأمر من سيد الأرض فيقول للعدم - رد ما أكلت

* أيها الموت الأسود، رد ما أكلت من زرع وأعشاب وورق وحشائش

* فيا أخي، أجعل عقلك معك لحظة واحدة، إن بك في كل لحظة خريفا وربيعا.

* وانظر بستان قلبك أخضر ريان نضرا، حافلا ببراعم الورد والسردي والياسمين.

صندوق الدنيا بقلم: أحمد بهجت

سلم السماء

يصور جلال الدين الرومي الإنسان, وما يتعرض له من مغريات الحياة فيقول رباه.. إن امامنا مائة ألف من الشباك والحب.. ونحن كالطيور الحريصة الجياع ففي كل لحظة نقع في شرك جديد, حتي لو كان كل منا بازا أو عنقاء وأنت – يا من لا حاجة بك إلينا – تخلصنا في كل لحظة, ولكننا نعود فنقع في حبال أخرى.

فنحن نضع القمح في هذا المخزن, بيد اننا لا نكاد نجمع القمح حتي نفقده, وليس ينتهي بنا التفكير آخر الأمر أن هذا الخلل الذي يقع بالقمح جاء من مكر الفأر.

فمنذ أن صنع الفأر جحرا في مخزننا, خرب بخداعه هذا المخزن فاعلمي ايها النفس أولا علي دفع شر الفأر, ثم اجتهد في جمع القمح.

فلو لم يكن في مخزننا فأر سارق فأين محصول أعمالنا طيلة أربعين عاما...؟

فالقمح في هذه الصورة يرمز إلي ما يحصله الإنسان من أعمال صالحة, أما الفأر فيرمز إلي الشيطان الذي يجد سبيله إلي تلك الأعمال, فينتقص منها يتحدث جلال الدين الرومي عن الجسم والروح, ويقارن بين احساس الجسم وإحساس الروح فيقول:

– إن حس الدنيا سلم لهذا العالم, اما حس الدين فهو سلم السماء, فاطلب صحة حس الدنيا من الطبيب, والتمس صحة حس الدين عند الحبيب وصحة حس الدنيا تجئ من سلامة البدن, أما صحة حس الدين فتأتي من خرابه, فطريق الروح يخرب الجسم, ولكنه يعود فيعمر بعد هذا التخريب, فهو كمن خرب دارا من أجل كنز الذهب, ثم زادها عمرانا بذلك الكنز ذاته.

صندوق الدنيا بقلم: أحمد بهجت

الأرنب والأسد

كان جلال الدين الرومي يحب الموسيقى ويجيد العزف علي بعض الآلات الموسيقية, وهو الذي توسع في إدخال الموسيقى في مجالس الصوفية, وقد اقترن الشعر عنده بالموسيقى, كثيرا ما نظم في مجلس السماع, وكثيرا ما سمعه مقترنا بالإنشاد والأنغام, وقد تجلي أثر هذا الإحساس الموسيقي في شعره, فقد استطاع أن ينظم غزليات الديوان علي أوزان عديدة بلغت 55 وزنا, بعضها كان من الأوزان المهجورة.

إن المثنوي يشتمل علي بضع مئات من القصص, وقد استطاع الباحثون رد هذه القصص إلي أصول قديمة, ولكن إذا نظرنا إلي تلك الحكايات كما وردت في مصادرنا الأصلية, ثم نظرنا إليها عند الرومي, فسوف نجد أنها قد تحولت تحولا كاملا وتغيرت ملامحها وأصبحت حافلة بالمعاني الرائعة التي لم تخطر علي بال مؤلف القصة.

لقد تناول الرومي قصة كانت موجودة أصلا في كلیلة ودمنة هي قصة الأرنب الذي صرع الأسد, وقد استغرقت رواية القصة بضعة أسطر, وخلصتها أن أسدا كان يعيش قريبا من أحد المروج ذات الماء والعشب الوفير, وكان هذا المروج مرتعا لكثير من الحيوانات تعيش فيه مستمتعة بمانه وعشبه, ولكن الأسد كان يفسد عليها عيشها بمهاجمتها لاقتناص غذائه, وقد رأت هذه الحيوانات أن تتخلص من شر الأسد بأن تقدم له كل يوم حيوانا يأكله, وكانت هذه الحيوانات تختار بطريقة الاقتراع, وذات يوم وقعت القرعة علي أرنب ليذهب إلي الأسد فلم يرد الذهاب, وأخذ يعمل الحيلة للقضاء علي الأسد فتأخر عن موعد غذائه, فلما سأله الأسد: لماذا تأخرت؟ قال: إن أسدا جديدا قد اعترض طريقه وصار غذاء الأسد الأصيل, وطلب هذا الأسد من الأرنب أن يدلّه علي مكان هذا العدو, فأخذه الأرنب إلي بئر تطلع فيها الأسد فرأى خياله فظنه عدوه, فوثب إليه ليقاتله فغرق في البئر, وخلصت الحيوانات من شره.

لقد أخذ الرومي هذه القصة القصيرة فجعلها محورا لألوان رائعة من الحوار, وهيكل أدار حوله مناقشات ممتعة عن السعي والتوكل والقضاء والقدر وغير ذلك من المسائل.

في العشق

كل ما أقوله عن شرح العشق وبيانه, اخجل منه عندما أواجه العشق ذاته, وإذا كانت حركة اللسان تضئ الطريق لمعرفة الحقيقة, فإن العشق الصامت أبلغ من أي بيان, فبينما القلم مندفع في الكتابة, إذ به ينشق علي نفسه حين جاء إلي العشق.

هذه كلمات مولانا جلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر, وهي كلمات انثرها لكم كالبدور تحت سطح الأرض, وسوف نهيل عليها تراب الذكريات معاً, وسوف نسقيها بمياه الأمطار سواء كان مصدر المطر هو السحاب أو كان بكاء القلب مصدره.

المهم أن نخفي البذور جيداً تحت سطح الأرض, فإن اختفائها هو السر في اخضرار صفحة البستان فيما بعد.. ولنتنظر فترة كافية, فلا بد من وقت لكي يصير الدم حليباً صافياً, ولا في عالمنا من زمن لكي يعود الجسد الترابي إلي الأصل الذي خلق منه وهو الماء. كم معجزة تمر عليها وأنت مغلق العينين كل يوم.. هذه الساق الضعيفة لهذه الوردة التي شربت من دماء الأرض, كيف استطاعت هذه الساق الهشة أن ترفع آلاف الأطنان عن تراب الأرض وتحملها متجهة إلي السماء.. وهذا الندي الذي يتجمع مثل بكاء خجول علي أوراق الوردة في الفجر, هل تصدق أنت أنه الندي, أم أدركت بنور البصيرة أن الوردة كانت تصلي مع آلاف الكائنات التي سجدت ساعة الفجر, ثم بكت حياء أو حناناً حين مس شوكة جناح عصفور.

لن نقلب صفحات الكون معاً.. دعنا نرجع إلي البداية الأولى لخلق الكون, حين كان الكون صائماً لم يفطر بعد بالشورور.

كانت أمواج البحر عذراء لم تمخرها سفينة, والرياح نقية لم تلمس جبهة إنسان, والجزر صادقة لم تطأها أقدام بشر, والدنيا بأسرها برينة لم تشهد هذه المأساة الإنسانية من الحروب والدماء والشورور والأكاذيب والتسلط والقهر.

ما أجمل أن يعود المرء إلي البداية الأولى التي كان عليها الكون قبل أن يولد الإنسان ويمارس شروره علي الأرض!

صندوق الدنيا بقلم: أحمد بهجت

الرومي والحوار

كانت لجلال الدين الرومي مقدرة فائقة في فن الحوار, فهو لا يكاد يطرق موضوعا من الموضوعات حتي يعالجه في حوار يبين به وجهات النظر المختلفة, وينتهي منه إلى الرأي الذي يريد التركيز عليه, وقد بلغت قدرته في الحوار مستوى رائعا, ويرى د. عبدالسلام كفاقي أن الكثير من محاوراته في المثنوي يرقى إلى مستوى الأدب التمثيلي.

وقد لجأ الرومي إلى الحوار الفلسفي, كما لجأ لغيره من ألوان الحوار ذات الطابع الواقعي. وهنا يجري الشاعر الحوار علي مستوي المتناظرين, فيكتب علي لسانهم ما يلائم عقولهم, وبهذا يقترب الحوار إلى حد بعيد من الواقعية التي تزيده قوة وتأثيرا.

في حوار جري في إحدى المشاجرات بين رجل فقير وزوجته الجاهلة.
تلوم المرأة زوجها علي فقره فيقول لها:

إن الزوجين يجب أن يكون كل منهما علي مثال الآخر.

ألا فلتألمي زوجين من الأحذية أو النعال.

فلو أن واحدا من النعلين ضاق بقدمك فلا نفع لهذين النعلين عندك.

وهل بين مصراعي الباب واحد صغير, وآخر كبير.

أم هل رأيت الذئبة اقترنت بأسد الغاب؟

وليس يستقيم علي ظهر البعير زوجان من الحقائب إحداهما صغيرة, والأخرى كاملة الاتساع.

إنني أسير بقلب قوي نحو القناعة.

فمالك أنت تسيرين نحو الشناعة.

نحن نري في هذا الحوار كيف أن الشاعر قد جعله علي المستوي الذي ينبغي أن يكون عليه حين يوجه إلى امرأة جاهلة.

وقد استطاع جلال الدين الرومي - في كثير من الأحيان - أن يجعل من الأمور البسيطة التي تمر تحت أعيننا في الحياة موضوعا للشعر.

إن شعره يتناول الحياة بكل جوانبها, وعبقريته الفنية تستطيع أن ترفع بعض الموضوعات من مستواها التافه إلى مستويات فنية تجعلها قديرة بأن تقرأ.

صندوق الدنيا
بقلم: أحمد بهجت

موضوعات الشاعر

يري الدكتور محمد عبد السلام كفاي - رحمه الله تعالى - أننا إذا أردنا أن نقسم شعر جلال الدين الرومي علي اساس مضمونه فسوف نجد انه ينقسم إلي قسمين متميزين.

القسم الأول منهما شعر وجداني فلسفي يتناول معاني الصوفية من حديث عن المحبة الالهية والوجد والنفس الانسانية وأصلها الالهي وحينها الي ذلك الاصل الذي انفصلت عنه ولمحات عن وحدة الوجود لا كمسألة فلسفية ولكن كموضوع ذوقي, فهو في هذه الناحية يختلف اختلافا كبيرا عن محيي الدين بن عربي.

والشاعر في هذا اللون الوجداني محلق دائما في آفاق العالم الروحي لا يكاد يمس الحياة المادية إلا ليبين تفاهتها اذا قيسست بحياة الروح, وما تنطوي عليه من مباحج وما تضمره للانسان من سعادة ابدية قوامها الكمال والخلود.

أما القسم الثاني من شعر جلال الدين الرومي فشعر انساني أخلاقي يتناول في جانب كبير منه الانسان ويبين أهميته في هذا الكون, ورسم المثل العليا للحياة الانسانية في هذا العالم. وهو في هذا اللون من الشعر معلم أكثر منه فيلسوفا.

وشعر الديوان يكاد يكون من ذلك النوع الوجداني الفلسفي, أما المثنوي فتختلط فيه الفلسفة والحكمة بالشعر الخلقي التعليمي, وبطبيعة الحال اختلف اسلوب الشاعر في شعره الوجداني عنه في شعره التعليمي, فهو في شعره الوجداني يبدو جياش العاطفة, عنيف الاحساس, يعبر عن مغامراته الروحية بقوة وحرارة, وفي هذا اللون من الشعر يعرض علينا الرومي فلسفة الصوفية بطريقة تبدو جديدة كل الجدة.. مختلفة كل الاختلاف عن كل ما عرف من شعر صوفي اسلامي سواء منه ما كان بالعربية او الفارسية او التركية.

والآن ماذا يقول الرومي عن المحبة الالهية؟

سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

صندوق الدنيا
بقلم: أحمد بهجت
في المحبة الإلهية

يقول جلال الدين الرومي عن المحبة الإلهية :
إن الروح التي ليس شعارها الحب الحقيقي.
من الخير الا توجد.
فليس وجودها سوي عار.
كن ثملاً بالحب فإن الوجود كله محبة.
وبدون التعامل مع الحب فلا سبيل إلي الحبيب.
يقولون ما الحب؟
قل هو ترك الإرادة.
ومن لم يتخلص من إرادته فلا إرادة له.
إن المحب ملك والعالمين تراب عند قدميه.
والملك لا يلتفت قط إلي ما هو ملقي عند قدميه.
إن المحبة والحب باقيان إلي الأبد.
فلا تربط قلبك بسواهما لأنه عرض زائل.
إلي متي تعانق هذا المحبوب الميت (يقصد الدنيا).
عائق الروح وإن كانت لا حدود لها.
فالازهار التي تولد في الربيع تموت في الخريف.
وبستان المحبة لا مدد له من الربيع.
وتلك الورود التي يجيء بها الربيع مقترنة بالأشواك.
كما أن خمر العصير لا تخلو من خمار.
فلا ترتعد فوق حصان الجسد وسر مسرعا علي قدميك.
فإن الله يهب جناحين لمن تخلي عن حصان الجسد.

الوجود، وأن كل ما سواها عرض زائل، وهو هذا الغزل يتحدث جلال الدين الرومي عن المحبة الإلهية علي أساس أنها جوهر في الجامعة لتستطيع متنه الروح، ويدعو الانسان للسيطرة علي هذا الجسد والقضاء علي رغائبه يشبه الجسد بحصان جامح ركبت الروح الانطلاق غير مكبله بنزعاته واهوانه.

صندوق الدنيا
بقلم: أحمد بهجت

مناجاة الرومي

يخاطب جلال الدين الرومي قلبه المتعلق بالهيكل الجسمي الخاضع لأهوانه ويلومه علي هذا التعلق في إحدى غزلياته فيقول:
أيها القلب.. لماذا أنت أسير لهذا الهيكل الترابي الزائل
ألا فلتنتقل خارج تلك الحظيرة فإنك طائر من عالم الروح.
إنك رفيق خطوة الدلال، المقيم وراء ستر الأستار.
فكيف تجعل مقامك في هذا القرار الفاني
انظر إلي حالك واخرج منها وارتحل.
من حبس عالم الصورة إلي مروج المعاني
إنك طائر العالم المقدس، نديم المجلس الأنسي
فمن الحيف أن تظل باقيا بهذا المقام
إن مقصود الشاعر هنا دعوة قلبه إلي أن يتفكر ويتأمل وينطلق باحثا في عالم المعاني،
ولا يبقى مجرد عضو محصور في هذا الجسد بطبيعته المادية المحدودة.

وفي الغزل الصوفي يناجي الشاعر محبوبه بقوله:
أيها الحبيب إنني لم أر طربا في الكونين بدونك.
لقد رأيت كثيرا من العجائب ولكنني لم أر عجبا مثلك.
يقولون إن الاحتراق بالنار نصيب الكافر.
ولم أر محروما من نارك سوي أبي لهب.
ولكم وضعت أذن الروح علي نافذة القلب.
فسمعت كلاما كثيرا ولكنني لم أر شفتين

كما يناجيه في غزل آخر بقوله:
يا من أنت في ساعة الألم راحة لنفسي.
ويا من أنت في مرارة الفقر كنز لروحي
إن ما لا يحمله الوهم ولا يبصره الفهم.
يصل إلي روعي منك لأنك قبلتي
ففي ركعات الصلاة يكون خيالك أيها الملك.
واجبا ولازما لي لزوم السبع المثاني.

صندوق الدنيا
بقلم: أحمد بهجت

حوار

يصور جلال الدين الرومي سعيه إلى المحبوب في غزل علي طريقة السؤال والجواب, وهي طريقة فارسية في النظم, قوامها الحوار الذي يستخدم لعرض الفكرة المقصودة.

قال من بالباب قلت عبدك الوضيع
قال فأني شأن لك قلت أقرنك السلام ايها العظيم
قال فإني متي تلاحقتي قلت حتي تدعوني
قال فإني متي تجيش قلت حتي القيامة, لقد أقمت دعوي الحب وأقسمت علي ذلك,
وقد أضعت في سبيله الملك والشهامة
قال إن القاضي يريد شاهدا علي الدعوي
قلت إن شاهدي دمعني ودليلي شحوب وجهي
قال إن الشاهد مجرح فعينك مذنبتان
قلت بجلال عدلك إنهما من العدول ولاغرامة عليهما
قال فعلي أي شيء عزمت قلت علي الوفاء والمحبة
قال فماذا تريد مني قلت لطفك الشامل
قال فمن كان رفيقك قلت خيالك ايها الملك
قال فمن دعاك إلي هنا قلت أريج كأسك
قال فأني مكان افضل قلت قصر قيصر
قال فماذا رأيت هناك قلت مائة كرامة.
قال فلماذا هو خال قلت خوف قاطع الطريق
قال فمن قاطع الطريق قلت انه الملامة
قال فأين الأمان قلت انه في الزهد والتقوي
قال فما الزهد قلت إنه طريق السلامة

وفي إحدى غزلياته يتحدث عن الاتحاد مع المحبوب, ويصور لنا تلك الأفكار التي قالها غيره من الصوفية, ولكن بصورة شاعرية رائعة, تحرك القلب, وتجعلنا نري ذلك المعني من أبعاد أخرى, وكأننا نسمعه من الشاعر لأول مرة.

صندوق الدنيا بقلم: أحمد بهجت

القضاء والقدر

يري جلال الدين الرومي أن فكرة الوحي، أو الكشف والإلهام هي السبيل الوحيد للمعرفة اليقينية عند الصوفية..
يقول:

خذ نوره من آدم إن شئت أو منه إن أردت، وخذ الخمر من الابريق إن شئت أو من الكأس إن أردت، فإن هذه الكأس وثيقة القربي بالإبريق فيا أيتها الكأس المباركة، ليس هناك من هو سعيد مثلك. ولقد قال المصطفى - صلي الله عليه وسلم - طوبي لمن رأي وآمن بي، وطوبي لمن رأي من رأي فحين يقتبس السراج نور الشمعة، فكل من رآه رأي الشمعة يقينا فلو انتقل النور علي هذا النحو خلال مائة سراج، فروية آخر سراج ملاقة للأصل.

أيضا يصور فناء الروح الانساني في الخالق بأسلوب تعليمي فيقول: السيل حين وصل إلي البحر صار بحرا، والحبّة حين وصلت إلي الحقل صارت حصادا.

والخبز - حين تعلق بالكانن الحي - أصبح، وهو الميت، حيا عالما والشمع والحطب - عندما صارا فداء للنار - أصبحت ذاتهما المظلمة أنوارا فما أسعد ذلك الرجل الذي تخلص من ذاته وأصبح متحدا مع الوجود الحي.

ومع أن جلال الدين كغيره من الصوفية لا يحفل بالمباحث الكلامية، ولا يراها موصلة إلي معرفة يقينية، فقد تناول في شعره جوانب من المسائل الكلامية التي طال عليها الخلاف والجدل كمشكلة الجبر والاختيار وغيرها من المشكلات، لقد نظم الشعر عن الجبر والاختيار في عدة مواضع من المثنوي وأكد حرية إرادة الإنسان ومسئوليته عن أعماله.

في الجزء الخامس من المثنوي أكد في حوار حول القضاء والقدر بين مسلم ومجوسي أن الإنسان حر الإرادة وأنه لولا حرية ارادته لما كانت كل هذه الأوامر والنواهي التي حفل بها القرآن، فليس من المعقول أن كل هذه الأوامر والنواهي وجهت إلي أحجار، ولولا حرية الإرادة لما كان لك أن تلوم لصا سطا علي منزلك، وعلي هذا النحو يمضي في تأييد حرية الإرادة، ولكن ليس معني هذا أن الشاعر كان معتزلي المذهب، فقد انتقد مذهبهم وكان يراه مذهباً حسياً بحتاً. وذكر جلال الدين الرومي أنه سني المذهب وقال: أن السنة هي أسلم الطرق، والجماعة هم خير رفقاء الطريق.

صندوق الدنيا بقلم: أحمد بهجت

عالم الرومي

يري الدكتور محمد عبدالسلام كفاي أن الشعر التعليمي لجلال الدين الرومي كان مجالا رحبا تجلت فيه عبقريته, فقد استعان فيه بثقافته الواسعة, وفهمه العميق لمعارف أهل زمانه, ويكشف هذا الشعر عن خبرته بالنفس البشرية, ومقدرته علي سبر أغوارها, وتصوير نوازعها الشريرة والخيرة علي السواء. لننظر مثلا إلي حديثه عن الملق, وأثره في نفس من يتقبله من الناس.

يقول الرومي: إن الجسم علي شكل القفص, وقد أصبح بخداع الداخلين والخارجين شوكة تخز الروح, فهذا يقول له إنني سأكون صفيك, وذلك يقول له لا.. بل أنا شريكك.

وهذا يقول له: ليس لك نظير في الوجود, سواء في الجمال أو الفضل أو الإحسان والوجود.

وهذا يقول له إنك صاحب العالمين, وكل أرواحنا عيال علي روحك.

فحين يري الخلق سكاري ذاته, يفقد من الكبر سلطانه علي نفسه.. وهو لا يدري أن الشيطان قد أسقط آلافا مثله في مياه النهر.

إن ملق الدنيا ونفاقها لقمة حلوة المذاق, ولكنها مليئة بالنار.. فأقلل من تناولها.

لو أن مادحك هجاك أمام الملأ فإن قلبك يحترق أياما بلهيب هذا الهجاء.

ومع أنك تدري أنه قال هذا لحرمانه, وأن طمعه في عطائك جعله مغرضا فإن أثر هذا يبقي في نفسك, وانك لتلقي التجربة ذاتها في المديح فإن أثره أيضا يبقي معك أياما, ويصبح مصدرا لتكبر الروح وانخداعها, ولكن المدح لا يظهر لك لأنه حلو, أما القدح فيظهر لك لأنه قبيح مر.

فمن كثرة المديح أصبح فرعون طاغية, فكن متواضع النفس لين الجانب ولا تتجبر.

هذا مثال واحد من مئات الأمثلة التي عالج فيها جلال الدين الرومي أمراض المجتمع الإنساني علي هذا النحو البارع.

وخلاصة القول كما يقول د. كفاي إن جلال الدين لم يكن فيلسوفا فحسب, وإنما كان حكيما عمليا,

لقد تقبل الحياة وتفاعل معها, واعتبرها واقعا لا شك فيه, وأوجب العمل فيها..

يقول: إن الدنيا تتجدد في كل لحظة ونحن لا نحس بتجدها, وهي باقية علي هيئتها الظاهرة.

والعمر وإن بدا مستمرا في الجسد, فإنه يتجدد في كل لحظة كما يتجدد ماء النهر..

وهو مؤمن بالعلم ومكانه في هذه الحياة, متفائل في نظرته إلي مستقبل البشرية برغم أنه عاش في عصر من أظلم عصورها..

هو اجتياح المغول للعالم.

صندوق الدنيا بقلم: أحمد بهجت

لغة المثنوي

يري د. عبدالسلام كفا في أن المثنوي قد ولد مكتمل الحياة والأثر، لقد كان الشاعر يمليه علي تلميذه ومريديه حسن حسام الدين، وأغلب الظن أنه كان يلقي ما يتم نظمه علي التلاميذ والمريدين المقربين، فلهجة الخطاب واضحة فيه، والحوار غالب عليه، والشعر قد نظم لهؤلاء المريدين خاصة، ليكون مرجعا لأصحاب الطريقة، ولما كانت الطريقة تعني السلوك والسيرة في الحياة، فقد جاء المثنوي مهتما غاية الاهتمام بالحياة والأحياء.

أما لغة التعبير في المثنوي فتغلب عليها البساطة والبعد عن التكلف، والفكر قد تعمق إلي أبعد حدود العمق، ومع ذلك تستهوي النفوس بما يضرب فيها من أمثال قريبة من واقع الحياة وصروفها وخطوبها أو مباهجها وأفراحها.

والمثالية هي اللهجة الغالبة علي هذه الملحمة الإنسانية، وهي المقياس والحكم الفيصل في كل المواقف، فالصوفية هم الملوك، وجوهرهم النقي هو مقياس ذلك، وتجردهم من علانق المادة وطغيان الأهواء هو الذي أهلهم لذلك، ولا بد في هذا من الصدق والإخلاص، ولا قيمة ولا اعتبار للمظهر.

وكم بالمثنوي من صرخة في وجه الظالمين، قد تجيء في صورة الإنذار الواضح، وقد تجيء في صورة السخرية اللاذعة، وهي سخرية لا يقل تأثيرها عن القوة والإنذار، أما الشخصيات التي يستعين بها في تصوير كل هذه الأفكار، فمنها الملوك والسلطين، ومنها الخلفاء، ومنها الدراويش والشحاذون، ومنها الأنبياء والأولياء، ومنها الكفرة والعصاة والمجرمون، ومنها التجار الأمناء، ومنها المحتالون والمدلسون، ويكاد القاريء يقابل فيه كل النماذج البشرية، ويشهد الإنسان في ارتفاعه أو سقوطه، وقد صورت يد فنان أصيل كل مشهد وقعت عليه عينه جعل منه مصدرا لوحى الشعر وموضوعا لإبداعه.

وهكذا تقابل في المثنوي النبي بين قومه والمليك بين رعاياه، والقاضي واللص والمحتال والغني والمتسول، نري ساكن القصر في بذخه، والبؤساء في شقائهم، ونري شوارع المدن وما كانت تعج به من ضروب السعي في طلب الرزق، سواء منه من كان شريفا أو غير شريف، نري الحكيم والأبله والمتعفف والنهم.

والخلاصة أننا نشهد في المثنوي مجتمعا حيا أفراد موزعون بين الفضيلة والرذيلة، والكمال والنقص، والمثالية المترفعة، والواقع المظلم المرير.